الأدب المقارن الحدود و الآفاق

الأستاذ المشارك الدكتور كريمة محمد كربية
المملكة العربية السعودية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج - كلية
الآداب والفنون التطبيقية بالدلم
k.karbia@psau.edu.sa

Comparative Literature Border and Prospects

Associate Professor Dr. Karima mohamed karbia
The kingdom of Saudi Arabia
Prince Sattam bin Abdulaziz University , College of Arts and Applied Arts in Dalam

الخلاصة :

رغم مرور ما يزيد عن القرنين على الدراسات المقارنة في البلدان الأروبية و لسيما في فرنسا و من ثمَ الولايات المتحدة الأمريكية فإنَ هذا الفرع الأدبي مازال يطرح أسئلة ويثير إشكاليات و يستثير الباحث والناقد في مجال الأدب لمزيد البحث و الدراسة في هذا المجال لأنه لم ينضج بعد و لم يكتمل فاستوقفتنا المدارس الأدبية التي تناولت الأدب المقارن بالدرس لإعادة النظر فيها و تبين مواطن القوة و الضعف فيها باحثين عن أسباب ذلك من جهة و ناشدين حلولا و أفاقا من جهة أخرى للخروج بالأدب المقارن إلى مجالا أكثر نضجا و حيوية و فاعلية لذلك آثرنا أن نتناول أهم المدارس الموجودة في الساحة الأدبية وهي المدرسة الفرنسية و الأمريكية و السلافية تحليلا ونقدا طارحين بعد ذلك مقترحات لتجاوز العقبات ناشدين الآفاق المثلى له.

الكلمات المفتاحية : المدرسة الفرنسية - المدرسة الأمريكية - المدرسة السلافية - عالمية الأدب - النقد الأدبي .

Abstract:

Despite more than two centuries of comparative studies in European countries, especially in France and then the United States of America,This literary branch still poses questions and raises problems and provokes the researcher and critic in the domain of literature for further research and study in this domain Because it has not yet matured and is not completed .

We were stopped by literary schools Which dealt with comparative literature studding to review and show the strengths and weaknesses and Looking for the reasons for this on the one hand and appealing solutions and prospects on the other To bring comparative literature to a more mature, dynamic and effective domain. Therefore, we chose to address the most important schools in the literary scene. Therefore, we chose to deal with the most important schools in the literary arena, namely the French, American and Slavic school analysis and criticism, then put forward proposals to overcome obstacles, appealing the best prospects for this literature.

Keywords: Comparative Literature, French School, American School, Slavic school, universal literature،Literary criticism

المقدمة

فمة اجماع على أن فلسفة الأدب المقارن قائمة اليوم على أنه دراسة للأدب خارج الحدود لذلك تعيش الدراسات المقارنة اليوم فترة ازدهارها وتألقها في معظم البلدان ويكمن سر ذلك في تنامي التلاقح بين الثقافات والآداب المختلفة، وفي انتشار التطلع إلى العالمية مقابل انقضاء عهود الانغلاق إضافة الى بدء عصر الثورة الاتصالية والمعلوماتية التي ألحت على ضرورة الحاجة إلى الأدب المقارن.. ومن المسلم أن نظرية الأدب المقارن نظرية حديثة من حيث كونه نوع من البحث الأدبي يعنى بدراسة العلاقات الأدبية الدولية وهجرة الأفكار والصلات المختلفة بين الأدب والآداب الأجنبية والانسانيات. فتمكن بذلك

من تحقيق الإنفتاح على الآداب العالمية المختلفة وتحرر من قيد المركزية القومية التي تحكمت في منطلقاته طويلا ولنا في ذلك أمثلة من خلال دراسة مدارس الأدب المقارن ونقدها وتوصلنا إلى ضرورة التطبيق النقد الأدبي وعالمية الأدب حتى يساير هذا الميدان متطلبات العصر.

أهمية البحث و الهدف منه:

رصد حدود مدارس الأدب المقارن ونقدها مبرزين آفاق الأدب المقارن المتمثل في الخروج من المحلية إلى العالمية استجابة لمقتضيات العصر وتاثيرات العولمة التي أصبحت ترى العالم في جدل مستمر و لعل الأدب المقارن خير دليل على ذلك وربط الأدب المقارن بمجالات أخرى مثل النقد الأدبي الذي يساعد هذا الأدب على النمو والازدهار و الارتقاء و تخطي العقبات.

الإضافة العلمية للبحث:

تقديم مدارس الأدب المقارن والوقوف على حدود كل منها واقتراح حلول للتقدم بهذا الميدان والارتقاء به.

منهجية البحث

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن نستخدم المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي بهدف التأصيل لظاهرة نشأة وتطورا ووصف المدارس من خلال النصوص المرجعية النقدية وتحليلها وإبراز الخصائص وحدود للوصول إلى الآفاق والحلول.

➢ تعريف الأدب المقارن

يعتبر مصطلح الأدب المقارن إلى اليوم في وضع جدال بين النقاد والأدباء، فهذا المصطلح منذ نشأته تعرض لكثير من الجدال حول التسمية. فقد نعته الدكتور حسام الخطيب بأنه مصطلح خلافي ضعيف الدلالة على المقصود منه [١]، حتى من الذين كان لهم فضل في انتشار هذا المصطلح أقروا في كتبهم التي حملت المصطلح ذاته بأنه مصطلح بعيد عن الصواب، فقد جاء على لسان بول فان تيجم في كتابه الذي حمل عنوان الأدب المقارن " وقد بلغ من فرط الذيوع وسعة الانتشار في أيامنا ما يجعل من المستحيل علينا أن ننزع عنه هذا الاسم لنحل محله اسماً آخر أدنى إلى الصواب[٢] " آثر فرانسوا غويار أن يسمي الأدب المقارن تسمية جديدة ذات دلالة أدق هي تاريخ العلاقات الأدبية الدولية[٣] ، واقترح الدكتور محمد غنيمي هلال تسمية التاريخ المقارن للآداب أو تاريخ الآداب المقارن . [٤] ونظراً لفرط إشكالية هذا المصطلح فقد ألفت كتب حملت عنوان" ما الأدب المقارن"، وألقيت محاضرات بعنوان" أزمة الأدب المقارن"، وتكلم النقاد حول معضلات الأدب المقارن .

وتأتي أهمية الأدب المقارن من كونه يركز على كيفية الاتصال بين أدبين مختلفين، أو كيفيةالتلقي النقدي للأعمال الأدبية، ومن ناحية أخرى يقوم

بإبراز جماليات التلقي لدى القراء، ولا تسلم الأسطورة من البحث والتنقيب في هذا المجال فنراه يبحث الأسطورة و كيفية توضيفها في الأعمال الأدبية ، وأحياناً نجد الأدب المقارن يوسع مجاله ليشمل التاريخ الأدبي، فيبحث عناصر التاريخ الأدبي والثقافي ويبحث الأدب كمنظومة متعددة النظريات والتعارضات الأساسية التي تواجهه، ونجده يضيق مجاله ليبحث الأدب الأولي مقابل الأدب الثانوي، أو الأدب العالي مقابل الأدب الوضيع، ونراه أحياناً يخصص فنراه يطبق مفاهيمه وتطبيقاته على الأدب العالمي والوطني أو الإقليمي أو يتجه إلى الآداب الشفهية أو الآداب المكتوبة .وتبقى الأهمية الكبرى لهذا المصطلح بدراسات أعمال الترجمة، وكلنا يعرف ما لهذا المجال من تحديات تواجه المشتغلين في حقل الترجمة على صعيد اللغات وتعليمها. والغريب أن الأدب المقارن يحاول أن يخرج من دائرته الأدبية إلى الدائرة الفنية الأوسع، فيدرس التاريخ الأدبي وتاريخ الفن من وجهة التلقي والتأثير، ومن هنا أصبحنا نجد مقارنات بين الموسيقى والأدب أو بين الرسم والأدب، وفي النهاية نستطيع أن نقول أن الأدب المقارن حاول أن يجمع حوله كل ما هو إنساني ممزوجاً بلمسات فنية أو أدبية، ولذلك كان هذا المصطلح موضع خلاف بين النقاد والأدباء فقد حاول كل فريق أن يشد مفهوم الأدب المقارن إلى طرفه. إضافة إلى أن الأدب المقارن انتشر في ظل ظروف سياسية وثقافية متأثرة بالعولمة و الانفتاح على العالم الذي أثّر على الأوضاع الثقافية و الأدبية حيث بدت الآداب القومية و اللغوية تتحاور مع آداب قومية أخرى ، الشيء الذي جعل النقاد و الأدباء يسلطون الضوء في دراستهم على الأدب المقارن و الأدب العالمي [٥]و عالمية الأدب[٦].

وبالتالي فإن لدراسة الأدب المقارن أهمية كبرى في المجال القومي والعالمي، ففي المجال القومى يؤدي الاطلاع على آداب أجنبيه، ومقارنتها بالأدب القومي إلى التخفيف من حدة التعصب اللغة والأدب القومي. إذ

كثيرا ما يؤدي التعصب والغرور إلى عزلة اللغة والأدب القومى من تيارات الفكر والثقافه التي تساعد على اثراء أدب. فمثلا نرى أن الأدب الانكليزي كان بحكم الكبرياء قد عزل نفسه عن الآداب العالمية، توهما من الأدباء الانكليز أن ما عندهم أفضل من الآخرين، وظلوا كذلك حتى غزتهم التيارات الامريكية في الحضارة والأدب. فاثرت في لغتهم بل في نظام حياتهم الاجتماعي، ولم يستطع الانكليز أن يقاوموا، واهتزت لغتهم هزة عنيفة أمام المفردات واللغات الحديثه التي وردت من الأدب الأمريكى.

وقد اتجه بعض المقارنين العرب إلى النهل من النظرية الأمريكية في مجال الأدب المقارن وذلك بربط الادب المقارن بالأدب العام، ذلك أن الأدب المقارن في عرف الأمريكيين شديد الصلة بالأدب العام الذي ينضوي تحته ويمده بالمصداقية وبالشرعية العلمية. إضافة إلى ذلك فقد أنجز هؤلاء المقارنون دراسات خصبة وهامة تقوم على التراسل يين الآداب والفنون وعلى تبيان تعالق الآداب بألوان المعرفة المختلفة، مثل العلوم الإنسانية والاجتماعية والأنتروبولوجية والتاريخية.

فالعالم العربي مفتوح على الرياح الأربعة، فهو بمثابة ريشة في مهب الريح تذروها الرياح كيفما تشاء، في غياب مشروع ثقافي وحدوي وفي غياب أفق نهضوي حضاري.

تعالت الأصوات منذ مدة لدى بعض المقارنين العرب بضرورة إخضاع الدراسات المقارنة لاستراتيجية جديدة تقوم على المواجهة المقارنية المتعددة الجوانب والاتجاهات، مقارنية تتصف بالشمولية والعالمية في إطار أصالة الأدب العربية وعراقته من جهة، وفي إطار الموروث الأدبي الإنساني العالمي، من جهة أخرى. وهذا يعني أن الجزئيات لا ترى إلا في إطار الكليات، أي جدلية الثابت والمتحول.

أما بالنسبة للفرنسيين فإن المتتبع لتاريخ الأدب المقارن سيلاحظ بسهولة أن الفرنسيين كان لهم دور بارز ومركـزي في هذا المجال. ومن رواد هذه المدرسة ویلمان وجون جاك آمبر بیىنوا. فویلمان ألقي محاضرة في السربون عام ١٨٢٨ بين التأثير المتبادل بين فرنسا وإنكلترا وأيضا تأثير فرنسا في إيطاليا وبعد ذلك أوضح آمبر وبكل صراحة مفهوم هذا العلم حين قال:"أيها السادة سنقوم بهذه الدراسة المقارنة التي بدونها لا يكتمل تاريخ الأدب، ولذا وجدنابعد المقارنات التي تقيمها أن أدبا يتفوق على أدبنا بنقاط عدة فإننا سنعترف بذلك ونعلن هذا التفوق العادل، فنحن أغنياء جدا بالمجد لكي يستهوينا مجد أي شخص. وفخورون جدا بأنفسنا من أجل أن نكون منصفين"[٧].

لذلك لا بد لنا هنا أن نتوقف عند أبرز المدارس التي تناول الأدب المقارن بالدرس وتبين حدود كل مدرسة لنصل إلى استشراف موطن وسبل آفاق الأدب المقارن ويمكن حصرها في ثلاث مدارس.

-المدرسة الفرنسية

- المدرسة الأمريكية

-المدرسة السلافية

➢ المدرسة الفرنسية

إن فرنسا هي منشأ الأدب المقارن، الفرنسي فيلمان كان أسبق من غيره إلى استخدام المصطلح، وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها عام 1828 م حول علاقات الأدب الفرنسي مع بعض الآداب الأوربية. وكان وراء الدعوة إلي الأدب المقارن في فرنسا، أدباء وباحثون كبار ممن يؤمنون بالانفتاح والأممية، وينكرون كل نزعة إلي الانغلاق والانعزالي، ومن هؤلاء علي سبيل أمبير، وسنت بوف وجوزيف تكست، ويمكن اعتبار هذا الأخير أباً للأدب المقارن التطبيقي في مفهومه العلمي.

ومن أبرز الفرنسيين، الذين أسهموا في تحديد الأدب المقارن علي نحو علمي في النصف الأول من القرن الماضي، بالد نسبرجر5 ، وفان تييجم6 ، وبول هازار7 ، وجان ماري 8 كاريه، وماريوس فرانسوا جويار9 ، و ...ممن أنشأوا أول وأشهر مدرسة مقارنة في العالم، هي المدرسة

الفرنسية التقليدية (التاريخية)

لاتفوتنا الإشارة إلى أن المفهوم الفرنسي للأدب المقارن يلتقي جزئياً علي الأقل مع أكثر الاتجاهات السائدة في البلدان الأوربية، مما أتاح لهذا المفهوم أن يفرض نفسه في أغلب البلاد الأوربية، منذ أخريات القرن التاسع عشر حتي منتصف القرن العشرين.

يقول فان تييجم في كتابه الأدب المقارن" يخشى أن يظن أن المقصود بالمقارنة هو تنضيد المتشابه من الكتب والنماذج والصفحات من مختلف الآداب، لمعرفة وجوه الشبه ووجوه الخلاف، لا لغاية أخري غير إرواء حب الاطلاع، وتحقيق رغبة فنية أو إصدار حكم تفضيلي ينتهي إلى تصنيف .ولا نكران أن هذا الضرب من المقارنة عمل شيق جداً ومفيد جداً ...ولكن ليس له قيمة تاريخية، و لايتقدم بتاريخ الأدب خطوة واحدة إلي أمام ...ينبغي أن نفرغ كلمة مقارنة من كل دلالة فنية ونصبّ فيها معني علمياً"[٨]

وأوضح تعريف في هذا المجال هو ما قدّمه جويار تلميذ ماري كاريه بقوله " الأدب المقارن

هو تاريخ العلائق الأدبية الدولية. فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية و القومية و يراقب مبادلات الموضوعات، و الفكر، والكتب، والعواطف بين أدبين أو عدة"[٩]

ولكن بعد أن يتأثر الكاتب لابد أن يكون له أسلوبه وطريقته ولمسته الخاصة التي يطبع أعماله بها، فإذا كانت عملية التأثر كلية فإن هذا مقلد أعمى يخرج من الأدب المقارن ومن هنا نجد الدكتور محمد غنىمى هلال

يتكلم عن التأثر العكسي فيقول عن أحمد شوقي عند ما كتب مسرحية كيليوبترا " فما راق له ما كتبه شكسبير عنها فكتب شوقي بشكل مغاىر و مختلف عما كنه شكسبير"[١٠] إذن فأساس الأدب المقارن في المفهوم الفرنسي إذا هو عملية التأثر والتأثير، ومن هنا نجد أن مقاربي الأدب الفرنسي ألزموا أنفسهم بأمور عدة منها:

- **صلات تاريخية بين الأدب المتأثر والأدب المؤثر**:

لقد أصر الأدباء الفرنسيون على هذه النقطة كثيرا ووضعوا عناوىن عن كيفية انعقاد هذه الصلات من رحلات وترجمات وسفر الأدباء إلى الأدباء الآخرين أو غير ذلك. وقد حدد تىجم لمؤرخ الأدب الفرنسي حتى ينهض بمهمته سبل الاتصال بقوله" هناك حالتان أولهما عن طريق الترجمة اللاتينية أو الترجمة الفرنسية، والحالة الثانية المعقدة وهي أن يكون اتصال كتابنا بكتاب محدثين من أمم أجنبية "[١١]

- **اختلاف اللغة**: كثيرا ما تكون اللغة السائدة في بلاد من البلدان ممتدة إلى ما وراء حدوده، وهنا لا بد أن نتساءل هل نلحق الأثار التي تظهر فيما وراء هذه الحدود بالأدب القومي الذي تنتجه الأمة؟ ففي فرنسا حيث الوحدة القومية قديمة مغرقة في القدم وحيث الشعور هذه الوحدة عميق قوي فإننا نستحي أن ننسب إلينا من ليس منا. وهو يحدد حتى يكون الكاتب فرنسيا يجب أن يتغذى بثقافة فرنسية وبتفكير فرنسي محض.
- **حصر الأدب بالأدب** :لقد حصر المقارنون الفرنسيون أنفسهم بهذا الشرط، يقول تيجم: " الأدب المقارن الحقيقي يحاول ككل علم تاريخي أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل حتى يزداد فهمه وتعليله لكل واحدة منها على حدة، فهو يوسع أسس المعرفة كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع، أريد أن أقول ينبغي أن نفرغ كلمة مقارنة من كل دلالة

فنية ونصب فيها معنى علمية وتقرير المتشاحات والاختلافات بىن كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر إنما هو نقطة البدء الضرورية التي تتيح لنا اكتشاف تأثر أو اقتباس أو غير ذلك "[١٢].

ومن هنا نجد أن أحد الاعتراضات التي وجهت فيما بعد إلى المدرسة الفرنسية حصرهم المقارنة في مجال الأدب، ونتيجة لانغلاق هذه المدرسة التقليدية و تشددهم في هذه الشروط وتمحور الأدب المقارن في المركزية الأوربية الإقليمية، فقد انشق عن هذه المدرسة التقليدية رينه ايتامبل وأصبح له توجهات جديدة في ذلك، فقد حذر رينه ايتامبل من المركزية الفوقية والإقليمية للأدب المقارن التقليدي ومن ابتعاده عن جوهر الأدب، وقد شكل ذلك النقد خطوة مهمة نحو تجاوز الاتجاه التاريخي الوضعي في الأدب المقارن .

من خلال هذا النص يلفت ايتاميل النظر إلى أن أولاء الذين يبالغون في اتباع الهيكل الخارجي للمنهج قله يجدون أنفسهم بعيدين عن مجال الدراسة الحقيقية للأدب. وقد لاحظ اىتامبل أثناء دراسته للشعر في فترة ما قبل الرومانتيكية في القرن الثامن عشر أن كل المواضيع التقليدية التي يتضمنها ذلك الشعر مثل الطبيعة والحب العذري والحساسية المرهفة والبكاء على الزمن الماضي تتشابه كثيرا بالشعر الصيني في عصر كىم بون الذي كان يعيش قبل الميلاد. ومن هنا كان ايتامبل قد نسف شرط الصلات التاريخية، فإنه من الصعب تلمس أسباب محددة للاتصال التارخى بىن العصرين، كما أن الثقافة الموسوعية ايتامبل طبعت نزعته في الأدب المقارن بطابع الشمولية والكونية التي لا تحتقر مسبقاً أية ثقافة أو أي شعب لأنها تقاوم كل عنصرية بدءاً بالفوقية الأوربية.

هذه الدعوة التي وجهها المقارنون الجدد في تعريفهم للأدب المقارن تبدو أكثر انفتاحاً وأكثر معقولية في فهم الأدب، إنها دعوة لأن يقترب هذا المفهوم

من حقيقته . ولو أننا نظرنا في هذا التعريف لتبين لنا بعض الأشياء الجديدة، فهم يعتبرون الأدب المقارن فناً والفن يجب أن يحتوي على عناصر جمالية ويدعون إلى تقريب الأدب من الأشكال المعرفية والتعبيرية الأخرى، وهذه دعوة جديدة لأن ينفتح الأدب المقارن حتى يتقاطع مع ألوان جمالية وتعبيرية ويدعون لتقريب الأعمال والنصوص من بعضها بعيدة كانت في الزمن أو في الفضاء. وهنا نقترب نقترب بطرف من كلام تيجم ونبتعد عنه بطرف، فعندما يقولون أو ثقافات مختلفة وإن كان جزءاً من تراث واحد فإنه من الممكن أن نقارن أديبين أو أدبين أو كتابين أو غير ذلك، إذا كان من ثقافة مختلفة وضمن تراث واحد .ويبقى الشيء الأهم في هذا التعريف قولهم من أجل وصفها وفهمها وتذوقها بشكل أفضل ومن هنا نعود إلى كلام ايتامبل عندما قال "**إنني لا أفهم أن يكون للدراسة الأدبية إلا هدفان : التثقيف والإمتاع** "

❖ مآخذ المدرسة الفرنسية

القرن العشرين ولاسيما في النصف الثاني منه واجه المفهوم الفرنسي للأدب المقارن اعتراضات كثيرة من خارج فرنسا وداخلها، أهمها ما يلي:

أ. منهج في الأدب المقارن منهج علمي وتاريخي عفا عليه الزمن، ولايختلف عن منهج الموازنات التي تقام في داخل الأدب القومي الواحد .بعبارة أخري " ليس لهذا المنهج مميزات تفرده عن غيره من مناهج البحث الأدبي" [١٣]

ب .الأدب المقارن وفق مفهومه التاريخي لايتناول العمل الأدبي بالنقد والتحليلوإنما يحصر نفسه في مشكلات خارجية تتصل بالتأثيرات والمصادر والشهرة والذيوع

ج .الأدب المقارن في مفهومه الفرنسي التقليدي يهتم بكتاب الدرجات الدنيا

ولايعطي مثل هذه العناية للكتاب الكبار.

د .إن المقارنين الفرنسيين الأوائل كانوا ذوي نزعات استعمارية، وكانوا يهدفون إلي إثبات تأثيراتهم في الآداب غير الأوربية، وقد ركّز بعضهم علي الآداب الأوربية، وأهمل آداب القارات الأخري

و. ثمة مشاكل تنجم عن التزام المدرسة الفرنسية بالمعيار اللغوي في تحديد حدود الأدب القومي، منها:

١- مسألة الآداب التي تكتب بلغة واحدة، كالأدبين الانكليزي والأمريكي؛ فهل نعتبرهما أدباً واحداً مكتوباً بالإنكليزية - كما يري المقارنون الفرنسيون -أم هناك أدبان مختلفان يجب أن نقارن بينهما؟

٢- مسألة الكتاب الذين يبدعون أدباً بغير لغتهم الأم .فهل يعتبر هذا الأدب المنتج

أجنبياً أم هو ينتمي إلى آدابهم الوطني؟

٣- مسألة البلدان التي يتحدث شعبها بأكثر من لغة قومية كسويسرا التي تعترف بثلاث

لغات رسمية، هي الألمانية والفرنسية والايطالية.

كما أنعامل اللغة الذي نادى به المفهوم الفرنسي قد افتعل مشاكل لا حصر" ذلك لأن الحدود اللغوية لا تنطبق دائما على الحدود السياسية كاللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة الألمانية، واللغة الإسبانية إلخ ... وأمام هذا

الوضع هل يمكن اعتبار الأدب المكتوب بلغة واحدة حيثما وجد، ومهما اختلفت الحدود السياسية، والقوميات أدبا واحد؟ "[١٤] كما أن الحدود اللغوية قد بددتها وسائل الاتصال المتنوعة، إذ أصبح الإنسان الواحد يتقن العديد من اللغات، كما أنه بات بإمكانه التواصل مع جهات الأرض الأربعة

في وقت قصير، وذلك بالتحدث بأكثر من لغة، أو بالاستماع إليها، كما أننا نجد في أدب الأمة الواحدة أعمالا مكتوبة بعدة لغات، إذ هناك عرب يكتبون باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وقد يكتب الأديب الواحد بلغتين، فهل يعقل أن نقارن بين عملين له لمجرد اختلافهما في اللغة؟، وقد يكون الأديبان من بيئة ثقافية واحدة ويكتبان بلغتين مختلفتين أو العكس، أي أن يكتبا باللغة ذاتها، وهما من بيئتين ثقافتين مختلفتين، فهل يجوز عقد مقارنة بينهما؟، فاللغات لم تعد قادرة على الفصل في هذا التداخل الواسع، وإن استطاعت ذلك فمن الصعب تتبع سبل الانتقال الأدبي كأن يستمع كاتبتونسي لقصة فرنسية يبثها أحد البرامج الإذاعية في راديو باريس مثلا .وهكذا يظهر محدد آخر لهوية الآداب، إنه البيئة الثقافية، الذي يبدو أكثر فاعلية؛ لأنه يقدم حلولا لبعض الحالات التي عجز محدد اللغة عن إيجاد حل لها، وإذا شككنا في فعالية محدد البيئة الثقافية الذي تبنته المدرسة الأمريكية، فكيف يتعامل المقارن مع التأثيرات المتبادلة بين آداب أمريكا الجنوبية الناطقة باللغتين الإسبانية أو البرتغالية؟،

فهي وإن اشتركت في اللغة والتراث الأدبي، تبقى منتمية إلى بيئات خاصة، كالآداب الناطقة بالإنجليزية في الهند، وإنجلترا، وأمريكا وجنوب إفريقيا، أو غربها كنيجيريا، وغانا مثلا، أو بين الآداب الناطقة بالفرنسية في فرنسا، وساحل العاج، والسينغال، وغيرهما من دول إفريقيا .

ومن غيرالمنصف إهمال ظاهرة التشابه بين الآداب بسبب غياب حجة تاريخية تثبت وجود علاقات تأثير وتأثر فعليين، فالمقارنة في هذا الباب تعد أمرا مثيرا من الناحية المعرفية، لخوض غمار تجربة بحث جادة انطلاقا من سؤال وجيه، ألا وهو :كيف نفسر ظواهر التشابه إذا لم تكن وليدة تأثير أدبي فعلي؟___ وهو السؤال الذي تجاهلته المدرسة الفرنسية، وبذلك لم تعد تصوراتها تفي بالغرض

- **المدرسة الأمريكية** :

لقد تأسست المدرسة الأمريكية على اعتبارين، الأول ذو طابع تاريخي، فالحضارة الأمريكية حديثة النشأة، وذات تركيبة خاصة، إذ تشكلها العديد من الجنسيات، والثقافات الأوروبية، الأمر الذي دفع هذه المدرسة إلى الانفتاح على العالم، واحترام الإنجازات الأدبية الأجنبية، والثاني ذو طبيعة ثقافية يتجلى من خلال بحث المفهوم الأمريكي المقارن عن هوية ثقافية ذات طابع منهجي، ومعرفي يدور في فلك القرن العشرين، بدلا من المعطى التاريخي والوصفي الذي ساد في القرن التاسع عشر، واكتسح الدراسات الأوروبية، واعتمادا على هذين الاعتبارين اكتسبت المدرسة الأمريكية شخصية مقارنة قوية، وجريئة

في طرحها، لإطلاعها على المنجز الأوروبي في مجال الدراسات الأدبية المقارنة ووقوفها على نقاط الضعف فيه، وهكذا تجاوزت ما كان متعارفا عليه. يقول رينيه ولك وهو أبرز أعلام النقد الأدبي في أمريكا "يدرس الأدب المقارن الأدب مستقلاً عن حواجز السياسة والجنس واللغة ولايمكن أن ينحصر في منهج واحد؛ فالوصف والتشخيص والتفسير والقص والتوضيح تستخدم كلها في معالجته، بنفس القدر الذي نستخدم فيه المقارنة .ولايمكن للمقارنة أيضاً أن تقتصر علي العلاقات التاريخية الفعلية، لأن ثمة ظواهر متشابهة في اللغات أو الأجناس الأدبية ذات قيمة كبيرة رغم أنها لا ترتبط تاريخيا ... كذلك لايمكن أن نحصر الأدب المقارن في تاريخ الأدب، ونستبعد النقد والأدب المعاصر" [١٥]

لقد وسَع المفهوم الأمريكي مجال الأدب المقارن بتجاهله شرط الصلة التاريخية المؤكدة، فهو يدرس علاقات التشابه بين الآداب على اختلافها، والتشابه كاف لعقد المقارنات، حتى وإن لم يكن هناك تأثير يستند إلى اتصال

تاريخي مثبت، فهذه المدرسة تحلل النص بمعزل عن مرجعياته التاريخية، بالقدر الذي يقتضيه إدراك النصوص في علاقاتها الممكنة، وليس بالقدر الذي يقتضيه القصد إلى إثبات التأثير[١٦] . فاهتمامات المقارن الفرنسي من منظور المقارنة الأمريكية قد انحرفت عن المسار الصحيح، لأن عنايتها ببواعث التأثير طغت على عنايتها بالتأثير في حد ذاته، وهذا ما قادها إلى البحث في الملابسات التاريخية، والاجتماعية للنصوص.

ويحدد رونيه ولك ثلاثة أفرع للدراسة الأدبية :النظرية، النقد، التاريخ . وهذه الأفرع تتعاون في البحث الأدبي لتحقيق المهمة الأساسية ألا وهي وصف العمل الفني وتفسيره وتقويمه أو وصف أي مجموعة من الأعمال الفنية وتفسيرها وتقويمها، فالأدب المقارن شأنه شأن الأدب القومي لا يستطيع أن ينفصل عن دراسة الأدب بجملته فيجب أن يكون لديه معرفة بتاريخ أدبه مثلاً طبيعة الأدب ومفهومه ولهذا لا نستطيع أن نتخلى عن تاريخ هذا الأدب ولا نستطيع أن نتخلى عن نظرية الأدب ولا على الركائز الأساسية للنقد، وهذا المفهوم يطلب من الأديب المقارن أن يكون على ثقافة عالية جداً حتى يستطيع أن يقدم تميز في دراسته للأدب. من هذا المفهوم الذي طرحه ويلك نرى كيف ألغى الحدود السياسية والجنس وغيرها ليحل محلها الحد الإنساني في دراسته للأدب، فطرح قضية إنسانية الأدب المقارن أي أن الأدب المقارن نشأ في الأصل كردة فعل ضد القومية الضيقة التي أوصلت أوربا إلى حرب لا تنتهي.

ومن هنا نرى بأن آراء ويلك شكلت في الحقيقة معظم المفهوم الأمريكي، لكن من جهة أخرى ظهر مقارن جديد ينتسب إلى المدرسة الأمريكية فدعم آ راء ويلك في نظرته إلى الأدب المقارن وبلور المصطلحات والمفاهيم التي أسسها .فريماك يعد الأدب المقارن ملاحقة للآداب خارج حدوده القومي ودراسة لعلاقات بين الآداب ومجالات المعرفة من فلسفة وتاريخ وسياسة

ويدخل في ذلك الفنون من رسم ونحت وموسيقى وهو بذلك يكون قد زاوج بين الأدب ومجالات التعبير الإنساني. فالجديد الذي جاء به ريماك هو مقارنة الأدب مع الفنون الأخرى، أي أننا لا نحصر المقارنة بين أدبين وإنما نقارن مع فنون غير الأدب .من هنا يتلاقى مع ويلك عندما دعا إلى إنسانية الأدب، فالأدب صادر عن الإنسان والفنون الأخرى كذلك.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف نقارن الشعر أو الأدب مع فن غير الأدب؟ يقول الدكتور

محمد عبد السلام كفافي في إحدى محاضراته" إن هذه النظرة العامة إلى الفنون قد استتبعت بعض الدراسات المقارنة التي تبحث عما بين الفنون من التشابه كما أنها كثيراً ما قادت إلى الحديث عن أحد الفنون بلغة مقتبسة من فن آخر من ذلك استخدام مصطلحات التصوير أو النحت في الحديث عن الشعر فتظهر مصطلحات مثل التلوين في القصيدة أو التجسيم في الصورة الشعرية وهكذا "[١٧].

لقد توصل باحثو هذه الفنون في العصر الحديث إلى استنتاجات تفيد أن الفنون تفسر بعضهابعضا من جوانب متعددة وكثيراً ما تشرح الأعمال الفنية تصوير عمل أدبي معين والعكس صحيح، ومن هنا ظهرت لغة الفن لتلتقي مع لغة الأدب ضمن حدود مشتركة باحتفاظ أسلوب كل منها منفصلاً، ومن جهة ثانية نجد أن التأثير واقع ما بين رسام يؤثر على شاعر أو شاعر يؤثر على موسيقي والعكس أيضاً .أما محاكاة الفنون الأخرى كالتصوير مثلاً والرسم والنحت فلا شك تختلف باختلاف الوسائل، فالموسيقى تحاكي الأشياء بواسطة الصوت وكذلك الشعر تختلف أنواعه باختلاف وسائله والأساس في الفنون كلها المحاكاة، وعلى العموم تبقى المحاكاة في مجموعها وعلى اختلاف أنواعها يفرقها ثلاثة اتجاهات :اتجاه يحاكي بوسائل مختلفة وآخر بموضوعات متباينة، وثالث بأساليب متمايزة أو كيفية المعالجة.

❖ مآخذ المدرسة الأمريكية

وهكذا تحدد هدف المدرسة الأمريكية المتمثل في مقاربة العمل الأدبي في حد ذاته، بغية بلوغ بنيته الفنية، والجمالية، وليس ما ينطوي عليه من مؤثرات أجنبية، وما تمارسه من تأثيرات على الآداب الأخرى لكن هذا الاهتمام بأدبية الأدب سرعان ما تراجع دون الانتباه إلى ذلك، خصوصا في عقد مقارنات بين الآداب، وفنون المعرفة الأخرى، إذ لكل طرف ماهيته وطبيعته الخاصة، خلاف المقارنات التي تُعنى بالأدب ولا تتعداه.

كما أن إهمال المدرسة الأمريكية للصلة التاريخية في دراستها لظاهرة التشابه أمر غير مقبول، لأن الأدب المقارن لا يمكنه الاستقلال كليا عن تاريخ الأدب، وإلا تحولت دراساته إلى مجرد ثرثرة، نظرا لافتقارها إلى الحجج التي تكسبها قيما موضوعية ومعرفية .لذا من الأحسن أن يتحاشى المقارن المفاضلة بين الآداب؛ لأنها تُضيع فرص التقارب بين الشعوب، وهو ما يتنافى والأهداف الإنسانية التي يسعى المقارن إلى تحقيقها، كما أن افتراض سلبية المتأثر، وإيجابية المؤثر يجعل المقارن يحيد عن الموضوعية من الوهلة الأولى، وعليه أن يضع في الحسبان أهمية قنوات الاحتكاك الثقافي المتنوعة بين الدول، فبدراسته لها تتبين سبل التأثير، وتصبح أكثر وضوحا.

➢ المدرسة السلافية :

لقد طبعت المدرسة السلافية الأدب المقارن بطابع متميز يتماشى مع النظرة الماركسية للثقافة ومع الخصوصية الثقافية السوفياتية. وقد استطاعت تكسير المركزية الغربية وإعادة الاعتبار لمختلف الآداب الإنسانية، بعيدا عن التراتبية والإقصاء. ومغامرة الأدب المقارن الملحمية مستمرة ومتواصلة ، وقد تدعمت في الربع الاخير من القرن العشرين بزخم جديد من الحقول المعرفية تمثلت في الدراسات الثقافية التي فرضت نفسها في البداية في أمريكا ثم انتقلت إلى بقية

بلدان العالم. وتمثل الدراسات الثقافية تحولا هاما في حضارة القرن العشرين، لكونها تركز على الثقافة بصفة عامة في تجلياتها المختلفة. وقد استأثرت الثقافة الجماهيرية باهتمام خاص: السينما، المسرح، التلفزيون، الأنترنيت، مواقع التواصل الاجتماعي، الألعاب، الرياضة والصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية. وما يهمنا هو تفاعل الأدب مع هذا الانفجار الإعلامي والثقافي الذي شكل حساسية فنية جديدة وطبع بطابعه الخاص كل مكونات حضارة الصورة. وقد سعى الأدب المقارن إلى فهم الأشكال الأدبية الجديدة كالأدب التفاعلي والرقمي، والموازي. ويسعى الأدب لمقارن إلى اكتشاف الوشائج المختلفة التي تربط بين كل هذه الحضارات الملتحمة مع بعضها البعض: حضارة المشافهة، حضارة الكتابة، حضارة الصورة وحضارة الرقمية وما بعدها. وما يميز الأدب المقارن اليوم هو قدرته الفائقة على التجدد وعلى التكيف و وعلى احتضان كل الحقول المعرفية وعلى عبور الآداب والثقافات والمعارف والحضارات.

و قد أدت حملة نابليون على مصر إلى إحداث رجة كبيرة في المنظومة الثقافية العربية التّقليدية. اكتشف العرب أنهم أمام هجمة حضارية شرسة، مما حدا ببعض قادة الفكر إلى الاستعانة علميا وفكريا بهذا الغرب الزاحف واستعارة أسباب القوة والتمكن التي يمتلكها. في ظل هذا الانهيار الناتج عن اختلال موازين القوة وعن مركب النقص، لجأ بعض النقاد والأدباء والمفكرين العرب، في القرن التاسع عشر، الى مد الجسور الثقافية والفكرية مع أوروبا والتشبع بآدابها وفنونها الراقية وعلومها لإنجاز نهضة عربية ومشرع حضاري. وبناء على ذلك نشطت الدراسات المقارنة في اتجاه التأثر مع محاولة إيجاد عناصر التشابه والالتقاء والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الغربية. وقد لعب بعض الرواد دور الوسائط الحضارية بين الأدب العربي والآداب الأوروبية، نذكر منهم على سبيل التمثيل سليمان البستاني (ترجمة إلياذة

هوميروس إلى العربية) ورفاعة الطهطاوي (معاقرة الجنس الروائي) ومارون النقاش (في المسرح)، ونجيب الحداد (في الأدب بصفة عامة). أما في مجال تخصص الأدب المقارن في القرن العشرين، فالفضل يعود بالدرجة الأولى إلى بعض الرواد والمؤسسين، من أمثال عطية عامر، وأحمد ضيف وفخري أبو السعيد ونجيب العقيقي وعبد الرزاق حميدة وروحي الخالدي( ) وإبراهيم سلامة الذين كان لهم الفضل الكبير في التأسيس ومد جسور المقارنة والتواصل. وقد سعى هؤلاء الرواد إلى البحث عن مواطن الالتقاء والتأثر بين هذه الآداب المختلفة والمتباعدة في الزمان والمكان والمرجعيات. ولعل أول من استعمل مصطلح الأدب المقارن وعرف به هو خليل هنداوي عندما نشر مقالا مؤسسا في مجلة "الرسالة"، سنة ١٩٣٦ والذي يحمل عنوانا متميزا:" ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي": اشتغال العرب بالأدب المقارن أو ما يدعوه الفرنجة Littérature comparée في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد .

وعد محمد غنيمي هلال رائدا مؤسسا للأدب المقارن في العالم العربي عن جدارة واستحقاق. لقد تلقى تكوينه في هذا المجال على يد جهابذة الأدب المقارن بالسوربون، وعلى رأسهم فان تيجم وبالدنسبرجي. تحصل على الإرث المقارني بكامله من كبار ممثلي المدرسة الفرنسية وتشبع به قلبا وقالبا، روحا ورؤية وممارسة. ويعود هذا الاحتفاء الكبير بغنيمي هلال بالدرجة الأولى الى انتشار الفكر القومي في العالم العربي في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي على يد ساطع الحصري والثورة المصرية والبعثيين والقوميين العرب. وقد أضفت هذه الكتابات شرعية حقيقية على التوجهات الإيديولوجية التي كانت حاملة لمشروع قومي نهضوي يحقق الانعتاق من أسر التيارين المتصارعين عالميا: التيار الرأسمالي والتيار الاشتراكي.

مآخذ المدرسة السلافية

لقد أجمع النقاد علي أن المقارنين الماركسيين لم ينجحوا في مهمتهم ولهذا بدت جهودهم تسير تارة في الإتجاه الفرنسي وتارة أخري في الإتجاه الأمريكي، علي الرغم من أن المؤتمرات العالمية للأدب المقارن قد أتاحت لأنصار المدرسة السلافية بكل مكوناتها الوطنية وتنوعات فضاءاتها وخصب تداخلاتها، إبراز تميز صوتها ، عبر اعتقادها بالماديةَ الجدلية التاريخية ونزوعها نحو الحقيقي في هذا الإنساني.ومع ذلك فإن المدرسة السلافية بقيت تدور في فلك المدرستين الفرنسية والأمريكية. فهي لم تستطع أن تخرج من دائرة المفهوم الفرنسي في التأثير والتأثر ، وإن كانت قد لونت ذلك بلونها الخاص.[١٨]

ويرى سعيد علوش ان الدعامتين الفلسفية والعلمية ، عملتا في المدرسة المقارنة السلافية، بشكل أضفي عليها نوعا من الإنسجام ومنحها شرعية المدرسة علي الرغم من مزجها المنهج لمباديء المدرستين الفرنسية والأمريكية، في قالب جدبد ورؤية ذات أطروحة متداخلة الإختصاصات.[١٩]

كما يرى بأن المدرسة السلافية –علي عكس المدرسة العربية-إستطاعت أن ترسخ تقاليد درس مقارن ، لا هو فرنسي ولا هو أمريكي ، ولكنه الدرس، الذي يستجيب للفضاء والزمان الإشتراكي العلمي ، بعيدا عن التشبه والنمطية وهي مكاسب ما كان في الإمكان تحقيقها لو لا توافر الإرادة والعلم.[٢٠]

ولكن رغم ما يعتقد سعيد علوش يرده حسام الخطيب قائلا:" لا نعتقد إلا أن المقصودين بهذه المدرسة يخجلون من هذا التفخيم. وهم جميعا جادون و لكنهم يتعرضون لصعوبات فكرية غير يسيرة في بحثهم المضني عن طريقهم الخاص. وبعد تطورات الدرامية التي حدثت في أوربا الشرقية "[٢١]

أما صاحب كتاب " الأدب المقارن(مدخلات نظرية ونصوص و دراسات تطبيقية)" فقد رقض رأي علوش قائلا: " ونظن أن التطورات التي عصنفت بدول أوربا الشرقية ستجعلنا نتحدث في المستقبل عن تطور الأدب المقارن في هذه الدول بشكل منفصل، أي أنه ستكون هناك دراسات للأدب المقارن في رومانيا و يوغوسلافيا و هنغاريا و غيره . وبذلك سيفقد الحديث عن المدرسة السلافية أي معني ، إلا من وجهة نظر تاريخية لأنها مدرسة ليس لها وجود في الأصل من الناحية التطبيقة. لا أريد هنا أن نقلل من قيمة أولئك الذين وقفوا حياتهم علي خدمة الأدب المقارن إنطلاقا من التزامهم العقائدي و لكننا نظن أنهم يرفضون الآن الإنضواء تحت اسم المدرسة السلافية أو الماركسية"[٢٢] . أبرز ما يؤخذ عليها إذا البحث في وجوه التشابه في البنى التحتية أو القاعدة للمجتمعين -أي الظروف الاجتماعيةوالاقتصادية - الذي يقود إلى إهمال العمل الأدبي نفسه و يتم التركيز على الوقائع الاجتماعية والاقتصادية في البلدين أكثر من التركيز على العمل الأدبي وبيان ميزاته الفنية والمضمونية والإشارة إلى قضاياه الجمالية و الذوقية معنى ذلك أن "هذه المدرسة تقلل من استقلالية العمل الفني و تهتم بالعناصر الخارجية و المؤشرات الاجتماعية و الاقتصادية "[٢٣] الأدب هو تعبير عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الذي يعيش فيه الأديب، أو هو تعبير عن هموم الطبقة التي ينتمي إليها الأديب.

كذلك تقلل هذه المدرسة الأدبية المقارنة من شخصية الأديب وفرديته وعبقريته، إذ" إنّ التركيز على

دور الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في إنتاج الأدب يهمل الجانب الفردي لدى الأديب ويشير أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتشابهة هي التي أوجدت أدبين متشابهين.

وبذلك تدخل نظريات هذه المدرسة في مجال علوم أخرى كالسياسة و الاجتماع ...."[٢٤]

وتبقى المدرسة السلافية في الدرس المقارن للأدب إحدى المحاولات والاتجاهات الهامة والنافعة في عالم الأدب المقارن، إذ تسعى لتوسيع دائرة الأدب المقارن وكذلك لمناهضة النزعة الأورو -أمريكية المتمركزة حول الذات، والتقليل منها بتعديل الكفة بين المدارس الأدبية المقارنة الأخرى كالمدرستين الفرنسية والأمريكية .

و رغم أنها لم تصل في التقليد المقارني اليومي إلى مستوى المدرستين الفرنسية إلا أنه ا تعتبر تجربة أدبية جديدة ونافعة لروسيا والبلدان الأوروبية الشرقية، التي تسعى للكشف عن العلاقة بين الأدب والعلوم الاجتماعية والاقتصادية وتسعى لتطوير بعض مناهج النقد الأدبي من خلال اهتمامها الخاص بالأدب العالمي وسعيها الحثيث للوصول إلى توحيد الشرق والغرب.

هكذا نصل إلى القول أننا حاولنا تقديم الأدب المقارن من خلال ثلاث مدارس سجلت بصمتها في مجال الأدب و لكننا وقفنا على محدودية كل مدرسة و السؤال هنا كيف يمكن تجاوز هذه المحدودية و أي السبل إلى ذلك ألا تكون بالاستعانة بالنقد الأدبي أم تكون باءنصهار في الأدب العالمي ؟

➢ علاقة الأدب المقارن بالنقد الأدبي

يُعدّ الأدب اقارن والنقد الأدبي آليتين أساسيتين توّظفان لدراسة الآثار الأدبية لشعوب العالم. الأدب المقارن يطمح إلى رصد وجوه التلاقي بين الآداب واللّغات والثقافات كما أنّ النقد الأدبي ينزع إلى الكشف عن مكامن الضّعف والقوّة في النصوص الأدبية وتقييم جوانبها الفنّية وأبعادها الجمالية وتعتبر العلاقة بين الأدب المقارن والنقد الأدبي في المدرسة السلافية لها مكانة مرموقة بحيث نستطيع أن نعدّ هذه المدرسة من العوامل الأساسيةوالمؤثرة في ازدهار هذا التلاقي والاتصال بين الأدب المقارن والنقد الأدبي.

قد يعترض البعض على إفادة الأدب المقارن من مقولات النقد الأدبي وتاريخ الأدب، بحجة أن الأدب المقارن قد سعى جاهدا منذ بداياته إلى تحقيق استقلاليته عن باقي مجالات المعرفة الأدبية الأخرى، فهل إفادته من مقولاتها يفقده خصوصيته؟

النقد الأدبي يجب أن يكون مقارنا، يتجاوز الحدود اللغوية والقومية للآداب، والأدب المقارن يجب أن يكون نقديا يقارب النصوص الأدبية كبنى جمالية، لا كمؤثرات، ووسائط، عندئذ يصبح الأدب المقارن نقدا، ويصبح النقد أدبا مقارنا، وتزول تلك الحواجز المصطنعة التي أقيمت بين الأدب المقارن، والنقد الأدبي، فالأدب يتجاوز بطبيعة الحال حدود اللغات، لذلك لايجوز أن يقارب إلا بصورة نقدية، إن الأدب المقارن الحق هو في جوهره نقد أدبي، والنقد الأدبي الحق هو في جوهره أدب مقارن. لكن الأمر قد لا يسلم من المخاطرة، فطرح كهذا يذيب الأدب المقارن في النقد الأدبي، ويفقده خصوصيته كمنهج، لكننا لا نذهب إلى هذا الرأي، فصلة الأدب المقارن بالنقد الأدبي موجودة فعلا. وكل واحد منهما قادر على إثراء الآخر تنظيرا وتطبيقا، لكن القول بأنهما يمثلان طرفا واحدا أمر غير مقبول؛ لأنه يقصي تلك الفروق الجوهرية التي تميز الواحد منهما عن الآخر فالتداخل شيء، والتطابق شيء آخر، وبفضل هذا التداخل يتمكن الأدب المقارن من دراسة الآداب المختلفة في علاقاتها الممكنة، وفق رؤية مقارنة متميزة تجمع بين النقدي، والتاريخي، والأدبي. و لعل الأدب المقارن في هذه الحالة يتجاوز محدوديته عندما يتماهى مع النقد الأدبي فلكي تحقق الدراسة الأدبية المقارنة العمق والشمول في رصدها للعلاقات الأدبية التي تتبادلها النصوص لابد من مراعاة، البنيتين الداخلية، والخارجية للنصوص " فالنص الأدبي له شؤون داخلية، وأخرى خارجية، أما الشؤون الداخلية فلها علاقة ببنيته الداخلية، وصوره، وتركيباته ودلالته، ومضمونه، وشخصياته ... أما الخارجية فتتمثل

في اتصاله بالآداب الأخرى، وتماسه، وعناصر ومؤثرات تنتمي إلى الآخر، إنها طبيعة ملازمة للأدب، لأنه نتاج إنساني فاعل ومتفاعل مع الآداب الأخرى، يتلاقح مع التيارات الأدبية، والفكرية، والفنية، يؤثر فيها ويتأثر بها" [٢٥] والباحث المقارن مطالب بتوظيف الدليل الخارجي لتأكيد مصداقية الدليل الداخلي، أما إذا حدث العكس، فإن الأمر قد لا يسلم من ممارسة نوع من الضغط على النص بتحميله ما لا يحتمل من أجل إثبات صلة ما قد تكون غير موجودة أصلا، لذا من الضروري التعامل مع النص بمستوى أرقى، أي أن يفسح له المجال لكي يفرض وجوده، ويشير إلى علاقاته الممكنة بالنصوص الأخرى، حسب ما تقتضيه مستوياته المتنوعة، وبذلك نكون بصدد دراسة أدبية مقارنة تتسم بالموضوعية، والفاعلية.

و هكذا أصبحت المقارنة في الدراسة الأدبية المقارنة أداة في يد دارس الأدب تساعده في الغوص رأسيا في أعماق الظاهرة الأدبية عبر الحدود القومية ، وعلى مستوى جميع الآداب في محـاولة لفهم العمل الأدبي المفرد ، أو لفـهم (الأدب) في شموليته ، وكليه إنّها الأداة التي تمكننا من إلقاء صورة بانورامية على الظاهرة الأدبية في شتى جوانب تشكيلها الفني ، أو الجمالي وهذا هو الهدف الأول من دراسـة الأدب تماما مثلما تفعل العلوم الطبيعية ، وهـي تحـاول فهم الظواهر الطبيعية المختلفة ، وهكذا تخلى الأدب المقارن عن كونه فرعا مكملا لتاريخ الأدب القومي ، ويعـني بالعلاقات العرضية بين الأدب القومي ، وغيـره مـن الآداب الأجنبية إلى أن يكـون في صلب النقـد الأدبي ، ونظرية الأدب .وأصبح النـاقد الأدبي المقـارن لا يدرس (مجنـون ليلى) لأحمد شوقي ، و (روميو ، وجولييت) لشكسبير بهدف إثبات ما يدين به أحمد شوقي من تأثر بشكـسبير عندما كتب مسرحيته ، وإنما أصبح الهدف هو وضع كل مسرحية منهما في مقابل الأخرى ، وعلى قـدم المساواة بفهم التشكيل الجمالي ، والبنيات الفنية لكل واحدة منهـما في ضوء الأخرى،

وبذلك تزداد فهما ، واستيعابا للعملين معا من حيث : الحبكة ، والحدث الدرامي ، وتصوير الشخصيات .

يرجع الفضل إلى الأدب المقارن في تفاهم الشعوب ، وتقاربها في التراث الفكري ، وخروج الآداب القومية من عزلتها فينظر إليها بوصفها أجزاء من بناء عام هو ذلك التراث الأدبي العالمي ، و"بذلك يقضى على الغرور الذي يدفع بكل شعب إلى الاعتداد بأدبه ، والوقوف عنده ، واحتقار ما عاداه من الآداب "[٢٦]

لقد اتّضح مما سبق أنّ الدراسات تفيدبأنّ الأدب المقارن بمختلف اتجاهاته ومناحيه لا يكون بمعزل عن النقد الأدبي بل يكاد يكون جزءً لا يتجّزأ منه ويمكن اعتبارهما وجهين مختلفين لعُملة واحدة يوظّفهما الأديب والناقد كآليات فنّية بنّاءة لدراسة ومقارنة الآداب العالمية لاستخلاص القواسم المشتركة والجماليات الفنّية والدلالية منها. يمكن القول إنّ كلّ باحث أو ناقد يقوم بدراسة وتحليل الآثار الأدبية لشعوب العالم ينطوي عمله ضمن نطاق الأدب المقارن **والنقد الأدبي**.

➢ الأدب المقارن و عالمية الأدب

السؤال المطروح هنا ما الذي يميز الأدب العالمي عن الأدب المقارن؟

لقد نشأ الأدب المقارن والأدب العالمي في الفترة ذاتها، حتى وقع الكثير في أزمة المصطلح والخلط بينهما لما بينهما من تشابه عام.

يعرف الأدب العالمي بأنه كل أدب تجاوز حدود الدولة الوطنية للكاتب ووصل إلى العالم انتشارًا وتداولا، بعد ترجمته إلى لغات عالمية أخرى، وذلك لما فيه من تعبير عن قضايا إنسانية وبيئية مشتركة، فهو الأدب الذي يبحث عن وجوه التشابه الكونيّة والراسخة بين بلدان العالم أجمع، ثم يحاول تفسيرها في ظل عوامل مشتركة. وقد وصل هذا الأدب إلى العالمية بسبب التطوُّر الحضاري الذي وصلت إلى البشرية من تطور في الطباعة والنشر

والنقل ووسائل الإعلام المتنوعة وظهور شبكة المعلومات العالمية، وكلُّ ذلك مما ساعد على خروج الأدب من رقعة الوطن الضيّقة إلى رقعة العالم الواسعة. وكان وأوَّل من أوجد هذا المصطلح هو الشاعر غوته في عام ١٨٣٢م، وكان يرجو منه أن تلتقي آداب جميع الأمم ذات يوم في في بوتقة هذا الأدب العالمي، من دون أن تترك خصائصها المحلية. ومن أشهر الكتَّاب العالميين الذين انتشرَت أعمالهم في معظم بلدان العالم: يوهان غوتة، ووليم شكسبير، فيكتور هوجو، ودوستوفسكي.

أما الأدب المقارن يختلف عن الأدب العالمي في أن الأدب المقارن تكمن أهميته في ضرورته للكشف عن التيارات الفنية والفكرية للأدب القومي، ويساعد الباحثين في تاريخ الأدب والنقد الأدبي، كما أنه يدرس التيارات الفكرية في الفنون كافة، والأجناس الأدبية وما فيها من قضايا إنسانية، كما أنه يكشف عمليات التأثر والتأثير الحاصلة بين الأدب القومي والآداب الأخرى في العالم، وبأي نتاج معرفي كالفلسفة والتاريخ والعلوم وغيرها. ولعل الأدب المقارن إنطلاقا من هذا الباب يعانق العالمية ولاسيما حينما يرتقي الشعر مثلا إلى مستوى الإنسانية في موضوعاته وفنه ولا يتخلى في نفس الوقت على عن بعده القومي أو الوطني

استنتاجات :

هكذا نستنتج بعداستعراض المفهوم الفرنسي والأمريكي والسلافي إيجابا وسلبا وبعد تلمس مواطن القوة والضعف فيهم والبحث في أسباب ذلك لابدلنا أن نجمع الخيوط المتناثرة لهذا البحث بكلمات عامة. فقد كانت المدرسة الفرنسية ممثلة بمقارنيها التقليديين غويار، كاريه، تيجم الذين نظروا إلى الأدب المقارن نظرة ضيقة ومحدودة، ورأينا رينه ايتامبل الذي انشق عن هذه المدرسة فكان له آراء أكثر انفتاحاً، وبعد ذلك جاء المقارنون الفرنسيون

الجدد ويمثلهم بيير بونييل، وكلو بيشوا، وأندريه ميشيل روسو الذين أعطوا الأدب المقارن أبعاداً جديدة وبلوروا مفهوماته لتكون أقرب إلى تذوق الأدب. أما المفهوم الأمريكي فقد مثله رينه ويلك وهنري ريماك فكان مفهوماً منفتحاً، أشرك ويلك من خلاله النقد وقدم آراء مهمة في هذا المجال، أما ريماك فدعا إلى مقارنة الأدب مع فروع أخرى من المعرفة كالرسم والنحت والموسيقى وعلم النفس والاجتماع وغيرها فاستحقت هذه المدرسة أن يطلق عليها مدرسة الإبداع والخلق، بينما استحقت المدرسة الفرنسية التقليدية أن يطلق عليها المدرسة الانفعالية أما المدرسة السلافية فقد انطلقت من الفكر الماركسي، الذي رأى أن الأدب بناء أيديولوجي فوقي للمجتمع يقف مقابل بناء اقتصادي واجتماعي تحتي، وأن البناء التحتي هو المتحكم في الأدب وأشكاله ومضامينه، وبالتالي فإن المقارنة بين أدبين يجب أن تكون على أساس تشابههما أو انفصالهما في هذا البناء، لا في القواسم القومية. فكان لهذه المدرسة بذلك خصائص مميزتها عن مدارس الأدب المقارن الباقية تتمثل في الخروج على الفلسفة الوضعية التي حكمت الطريقة الفرنسية في الدرس المقارن، وحوّلته إلى بحث تاريخي يقوم على العلاقة السببية، والدلائل الملموسة على الصلات بين الآداب القومية المختلفة التي جمعت بينها مقولة التأثير، واعتماد الفلسفة المادية الجدلية في النظر إلى مختلف الآداب القومية ضمن سياق أوسع من آداب العالم شرقه وغربه شماله وجنوبه. ولكن علي الرغم من مضي الدرس المقارن قدما في أوربا الشرقية، وظهور أسماء كبيرة، فإن المدرسة السلافية لم تستطع أن تتخلص من التأثيرات الغربية فيها، ومن أشهر الأسماء في مجال الأدب المقارن في أوربا الشرقية: فيكتور جيرمونسكي و نيوبا كويفا، وميكرود ينوفيكا ..... وغيرهم.

➢ **الخاتمة** :

إن البطء في استيعاب مستجدات الفكر النقدي، وعدم انسجام التطبيق مع التنظير، هما عاملان يفقدان الأدب المقارن الكثير من ديناميكيته، ويهمشان دوره في الدراسات الأدبية .وهذا، في رأينا، مصدر ماهو حاصل حالياً في مضمار الأدب المقارن من ركود .ولذا فإ ن الحاجة إلى الأدب المقارن لم تكن في يوم من الأيام أرحب مما هي عليه اليوم .إلا أ ن الاستفادة من الفرص المهيأة للأدب المقارن تتوقف على المقارنين أنفسهم. فبيدهم أن يستفيدوا منها بشكل جيد، وأن يضمنوا للأدب المقارن مكانا مركزيا في الدراسات الأدبية. فكل علم من العلوم الإنسانية لا يواكب العصر ولا يقدم إجابات عن أسئلته المستجدة يكون مصيره الزوال .فأي مصير سيختار المقارنون لعلمهم؟، ذلك العلم الذي أثار آمالاً وتوقعات معرفية كبيرة.

واليوم، في بداية القرن الحادي والعشرين، للمرء أن يتساءل: ما هي الآفاق المستقبلية للأدب المقارن؟ وهل سيستطيع هذا الفرع من المعرفة الصمود في عصر العولمة؟ لقد قضت ثورة الاتصالات بصورة جلية على الأسس التي قامت عليها المدرسة الفرنسية التقليدية، إذ لم يعد هنالك ثمة داع للتنقل والأسفار بغية الاحتكاك بالآداب الأخرى. ذلك أن هذه الأخيرة تأتيك في عقر دارك عبر التلفاز والشبكة العنكبوتية ووسائط الاتصال الأخرى.

هوامش البحث

١ - الأدب المقارن في النظرية والمنهج، الخطيب، الجزء الأول، ص23

٢- الأدب المقارن، تيجم، ص93

٣- الأدب المقارن، غويار، ص124

٤- الأدب المقارن، هلال، ص84

٥ - الأدب العالمي :هو مصطلح في مجال الأدب أتى به الأيب الالماني يوهان فولفغاهن قوتيه (johan wolf jangon Goethe) وهو يرى أن عصر الآداب القومية قد ولى. و أن عصر الأدب الجديد قد بدأ .ألا وهو عصر" الأدب العالمي"

٦ - ظاهرة أدبية أخرى ، ظهرت مناقضة للأدب العالمي : و يشرح محمد غنيمي هلال عالمية الأدب على أنها خروج الآداب من حدودها القومية طلبا لكل ماهة جديد مفيد تهضمه و تتغذى به و استجابة لضرورة التعاون الفكري

٧- الأدب المقارن، بول تيجم، ص12

٨- مدارس الأدب المقارن،علوش،ص ٦٩-٧٠

٩- الأدب المقارن، جويار، ماريوس فرانسوا، ص٥

١٠- الأدب المقارن في النظرية والمنهج، الخطيب، ص١٤٣

١١ - الأدب المقارن، هلال، ص١٥٨

١٢- ما الأدب المقارن، ميشيل روسو، بير، ص ١٥٣

١٣-آفاق الأدب المقارن عربياً، الخطيب، ص٣٢

١٤ - من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن، عليان، أعمال الملتقى الأول للمقارنيين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب - المصطلح المنهج، ص٤٧

١٥ - الأدب المقارن، أصوله، تطوره ومناهجه، مكي، ص ١٩٤

١٦- مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، علوش، ص126

١٧- الأدب المقارن، هلال، ص12

١٨- الأدب المقارن (مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية)، عبود وآخرون، ٤٥-٤٦

١٩- مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، علوش،١٤٣

٢٠- مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، علوش،١٣١

٢١- آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، الخطيب، ص١١٤

٢٢- الأدب المقارن (مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية)، عبود، ص٤٨

٢٣ - في النقد والنقد الألسني، خليل، ص ٩٧-٩٨

٢٤ - نفس المرجع السابق، ص ٥٦

٢٥ - واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، صغور، ص١١٢

٢٦ - محاضرات في الأدب المقارن، عبد العليم

قائمة المصادر و المراجع

١. الأدب المقارن، تيجم بول فان، ترجمة، الحسامي، سامي مصباح، المكتبة العصرية، صيدا، د، ت.

٢. الأدب المقارن، غويار، ماريوس فرانسوا، ترجمة، الدكتور غلاب محمد، مراجعة: الدكتور، محمود عبد الحليم، ط١، القاهرة، سلسلة الألف كتاب (٤٤)، لجنة البيان العربي ١٩٥٦
٣. الأدب المقارن، هلال، محمد غنيمي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠١
٤. الأدب المقارن مشكلات وآفاق، عبود، عبده، دمشق، اتحاد كتاب العرب ،١٩٩٩
٥. الأدب المقارن (مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية)، عبود وآخرون، دمشق، مطبعة قمحة إخوان، ٢٠٠١م
٦. الأدب المقارن، أصوله، تطوره ومناهجه القاهرة، مكي، الطاهر أحمد، دار المعارف ١٩٨٧،
٧. الأدب المقارن في النظرية والمنهج، الخطيب، حسام، جامعة دمشق، ١٩٨١
٨. آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً. الخطيب، حسام، دمشق، دار الفكر،١٩٩٩
٩. ما الأدب المقارن، ميشيل روسو، كلود، برونيل بير، ترجمة وتحقيق، السيد، غسان، ط١، دار علاء الدين للنشر، ٢٠١٠
١٠. محاضرات في الأدب المقارن، عبد العليم، مصطفى فاروق، ط١، كلية الدراسات الأسلامية والعربية للبنات، بني سويف، ٢٠٠٩
١١. مدارس الأدب المقارن، – دراسة منهجية، علوش، سعيد، ط1 ، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي،1987
١٢. مكونات الأدب المقارن في العالم العربي ، علوش ،سعيد ، ط١، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٦
١٣. من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن، عيلان، نسيمة، أعمال الملتقى الأول للمقارنيين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب - المصطلح المنهج
١٤. واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، صغور، أحلام إشراف د. شريفي عبد الواحد أطروحة دكتوراه الجزائر، جامعة وهران السنة الجامعية2008 – ٢٠٠٩
١٥. فيكتور جيرمونسكي والنظرية التيبولوجية في الأدب المقارن، غسان مرتضى، الأسبوع الأدبي، العدد527 ، ملف الأدب المقارن سنة ١٩٩٦